من شرح الكوكب:

الْحَمْدُ) الْمُسْتَغْرِقُ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْمَحَامِدِ مُسْتَحَقٌّ (لِلَّهِ) جَلَّ ثَنَاؤُهُ . وَثَنَّوْا بِالْحَمْدِ : لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ { كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ، فَهُوَ أَقْطَعُ } وَمَعْنَى " أَقْطَعُ " نَاقِصُ الْبَرَكَةِ ، أَوْ قَلِيلُهَا . وَفِي ذِكْرِ الْحَمْدِ عَقِبَ الْبَسْمَلَةِ اقْتِدَاءٌ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا . وَلَهُمْ فِي حَدِّ الْحَمْدِ لُغَةً عِبَارَتَانِ . إحْدَاهُمَا : أَنَّهُ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيلِ صِفَاتِهِ ، عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ . وَالْأُخْرَى : أَنَّهُ الْوَصْفُ بِالْجَمِيلِ الِاخْتِيَارِيِّ ، عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ . سَوَاءٌ تَعَلَّقَ بِالْفَضَائِلِ أَوْ بِالْفَوَاضِلِ . وَ " الشُّكْرُ " لُغَةً : فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ لِكَوْنِهِ مُنْعِمًا عَلَى الشَّاكِرِ ، يَعْنِي : بِسَبَبِ إنْعَامِهِ . وَيَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ . فَالْقَلْبُ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ . وَاللِّسَانُ لِلثَّنَاءِ ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّهُ . وَالْجَوَارِحُ : لِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَةِ الْمَشْكُورِ ، وَكَفِّهَا عَنْ مَعَاصِيهِ . وَقِيلَ : إنَّ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ . ثُمَّ إنَّ مَعْنَى الْحَمْدِ فِي الِاصْطِلَاحِ : هُوَ مَعْنَى الشُّكْرِ فِي اللُّغَةِ وَمَعْنَى الشُّكْرِ فِي الِاصْطِلَاحِ : هُوَ صَرْفُ الْعَبْدِ جَمِيعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ إلَى مَا خُلِقَ لِأَجْلِهِ ، مِنْ جَمِيعِ الْحَوَاسِّ وَالْآلَاتِ وَالْقُوَى . وَعُلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ اللُّغَوِيَّيْنِ عُمُومًا وَخُصُوصًا مِنْ وَجْهٍ . فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ الْمُتَعَلَّقِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ فِي مُقَابَلَةِ نِعْمَةٍ . وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ الْمَوْرِدِ . الَّذِي هُوَ اللِّسَانُ ، وَالشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ الْمَوْرِدِ . وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ الْمُتَعَلَّقِ . وَهُوَ النِّعْمَةُ عَلَى الشَّاكِرِ . وَفِي قَرْنِ الْحَمْدِ بِالْجَلَالَةِ الْكَرِيمَةِ – دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ تَعَالَى – فَائِدَتَانِ . الْأُولَى : أَنَّ اسْمَ " اللَّهِ " عَلَمٌ لِلذَّاتِ ، وَمُخْتَصٌّ بِهِ ، فَيَعُمُّ جَمِيعَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . الثَّانِيَةُ : أَنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ (كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ) تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ . وَلَمَّا كَانَتْ صِحَّةُ الْوَصْفِ مُتَوَقِّفَةً عَلَى إحَاطَةِ الْعِلْمِ بِالْمَوْصُوفِ ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ ({ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }) صَحَّ قَوْلُنَا (فَالْعَبْدُ لَا يُحْصِي ثَنَاءً عَلَى رَبِّهِ) لِأَنَّ وَصْفَ الْوَاصِفِ بِحَسَبِ مَا يُمْكِنُهُ إدْرَاكُهُ مِنْ الْمَوْصُوفِ . وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُدْرَكَ حَقَائِقُ صِفَاتِهِ كَمَا هِيَ ، جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ ({ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ })،**انتهى**

قال في شرح التلويح:

قَوْلُهُ حَامِدًا) حَالٌ مِنْ الْمُسْتَكِنِ فِي مُتَعَلَّقِ الْبَاءِ أَيْ بِسْمِ اللَّهِ أَبْتَدِئُ الْكِتَابَ حَامِدًا آثَرَ طَرِيقَةَ الْحَالِ عَلَى مَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ عِنْدَهُمْ مِنْ الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ نَحْوُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَأَحْمَدُ اللَّهَ تَسْوِيَةً بَيْنَ الْحَمْدِ وَالتَّسْمِيَةِ وَرِعَايَةً لِلتَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ { كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُبْدَأْ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْزَمُ } فَحَاوَلَ أَنْ يَجْعَلَ الْحَمْدَ قَيْدًا لِلِابْتِدَاءِ حَالًا عَنْهُ كَمَا وَقَعَتْ التَّسْمِيَةُ كَذَلِكَ إلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ التَّسْمِيَةَ ؛ لِأَنَّ النَّصَّيْنِ مُتَعَارِضَانِ ظَاهِرًا ، إذْ الِابْتِدَاءُ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ يُفَوِّتُ الِابْتِدَاءَ بِالْآخَرِ وَقَدْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ بِأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَيَقَعُ الِابْتِدَاءُ بِهِ حَقِيقَةً

وَبالْآخر بالْإضَافَة إِلَى مَا سِوَاهُ فَعَملَ بالْكتَاب الْوَارِد بتَقْدِيم التَّسْمِيَة وَالْإِجْمَاع الْمُنْعَقد عَلَيْه وَتَرك الْعَاطف لئَلَّا يُشْعرَ بالتَّبَعِيَّة فَيُخلُّ بالتَّسْوِيَة وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَامدًا حَالًا منْ فَاعلِ يَقُولُ ؛ لأَنَّ قَوْلَهُ وَبَعْدُ فَإِنَّ الْعَبْدَ عَلَى مَا فِي النُّسْخَة الْمُقرَّرَة عنْدَ الْمُصنِّف صَارفٌ عَنْ ذَلكَ . وَأَمَّا عَلَى النُّسْخَة الْقَدِيمَة الْخَالِيَة عَنْ هَذَا الصَّارف فَالظَّاهرُ أَنَّهُ حَالٌ عَنْهُ . وَأَمَّا تَفْصيلُ الْحَمْد بقَوْله أَوَّلًا وَثَانيًا فَيَحْتَملُ وُجُوهًا : الْأَوَّلُ أَنَّ الْحَمْدَ يَكُونُ عَلَى النِّعْمَة وَغَيْرِهَا فَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَحقُّ الْحَمْدَ أَوَّلًا بكَمَال ذَاته وَعَظَمَة صفَاته وَثَانيًا بجَميل نَعْمَائه وَجَزيل آلَائه الَّتي منْ جُمْلَتهَا التَّوْفيقُ لتَأْليف هَذَا الْكتَاب الثَّاني أَنَّ نعْمَةَ اللَّه تَعَالَى عَلَى كَثْرَتهَا تَرْجعُ إِلَى إيجَادٍ وَإِبْقَاءٍ أَوَّلًا وَإِيجَادٍ وَإِبْقَاءٍ ثَانيًا فَيَحْمَدَهُ عَلَى الْقِسْمَيْنِ تَأَسِّيًا بالسُّوَر الْمُفْتَتَحَة بالتَّحميد حيث أُشير في الْفاتحة إِلَى الْجميع وفي الْأنعام إِلَى الْإيجاد وفي الْكَهف إِلَى الْإِبْقَاء أَوَّلًا وَفي السَّبَأ إِلَى الْإِيجَاد وَفي الْمَلَائكَة إِلَى الْإِبْقَاء . ثَانيًا الثَّالثُ الْمُلَاحَظَةُ لقوله تعالى { لَهُ الْحَمْدُ في الْأُولَى وَالْآخرَة } عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ يَسْتَحقُّ الْحَمْدَ في الدُّنْيَا عَلَى مَا يُعْرَفُ بالْحُجَّة منْ كَمَاله وَيَصلُ إِلَى الْعبَاد منْ نَوَاله وَفِي الْآخرَة عَلَى مَا يُشَاهَدُ منْ كبْرِيَائه وَيُعَايَنُ منْ نَعْمَائه الَّتي لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر وَإِلَيْه الْإِشَارَةُ بقَوْله تَعَالَى { وَآخرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ } فَإِنْ قُلْت فَقَدْ وَقَعَ التَّعَرُّضُ للْحَمْد عَلَى الْكبْرِيَاء وَالْآلَاء في دَارَيْ الْفَنَاء وَالْبَقَاء فَمَا مَعْنَى قَوْله وَلعَنَان الثَّنَاء ثَانيًا أَيْ : صَارفًا عَطْفًا عَلَى " حَامدًا " قُلْتُ : مَعْنَاهُ قَصْدُ تَعْظيمه وَنيَّةُ التَّقَرُّب إِلَيْه في كُلِّ مَا يَصْلُحُ لذَلكَ منْ الْأَقْوَال وَالْأَفْعَال وَصَرْفُ الْأَمْوَال إشَارَةٌ إِلَى أَنْوَاعِ الْعبَادَات فَإِنَّ نعَمَ اللَّه تَعَالَى تَسْتَوْجبُ الشُّكْرَ بالْقَلْب وَاللِّسَان وَالْجَوَارِح وَالْحَمْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا باللِّسَان ، وَفيه إشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَخْذَ في الْعُلُوم الْإِسْلَاميَّة يَنْبَغي أَنْ يَعْرِضَ عَنْ جَانب الْخَلْق وَيَصْرفَ أَعنَّةَ الثَّنَاء منْ جَميع الْجهَات إِلَى جَنَاب الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَالمًا بأَنَّهُ الْمُسْتَحقُّ للثَّنَاء وَحْدَهُ ، فَإِنْ قُلْتَ : منْ شَرْط الْحَال الْمُقَارَنَةُ للْعَامل وَالْأَحْوَالُ الْمَذْكُورَةُ أَعْني حَامدًا وَغَيْرَهُ لَا تُقَارِنُ الابْتدَاءَ بالتَّسْميَة قُلْتُ : لَيْس الْبَاءُ صلَةً ل " أَبْتَدئُ " بَلْ الظَّرْفُ حَالٌ وَالْمَعْنَى مُتَبَرِّكًا بِسْمِ اللَّهِ أَبْتَدِئُ الْكِتَابَ ، وَالِابْتِدَاءُ أَمْرٌ عُرْفِيٌّ يُعْتَبَرُ مُمْتَدًّا مِنْ حِينِ الْأَخْذِ فِي التَّصْنيف إِلَى الشُّرْعِ فِي الْبحث ويقارنه التَّبرّك بالتّسمية والْحمد والصّلاة ، فإنْ قلْت : فعلى الْوجه الثَّالث يَكُونُ حَامدًا ثَانيًا بمَعْنَى نَاويًا للْحَمْد وَعَازمًا عَلَيْه ليَكُونَ مُقَارنًا للْعَامل وَحينَئذٍ يَلْزَمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَقيقَة وَالْمَجَاز، **انتهى**